

الترامواي في مصر

لقد اتبني الى استحسان بعض الادبيات لمقالاتي الانتقادية (ربيع ساعه
على طنط بالموسكى) فجراني استحسانهم الى طرق هذا الباب ودعوة
السيدة التي كانت معي على الطنف ان تركب واياي احدى العربات الكهربية
التي تخطر في شوارع مصر تقريباً لابناءها والتي تتحرك بقوة التيار
الكهربائي المتصل الى عجلاتها بواسطة الاسلاك الممتدة فوقها .

تفضلي ياسيدتي فما الترامواي قادم نحونا بسرعة والسائق يقرع جرسه
بشدة ارفعى مظلتك مثلي اشارة للسائق قف ياسائق قف
..... كرر « .. ها قد اقتربت من العربية وجاوزتنا فاسرعى ياسيدتي الخطي
اليها قبل ان يعزف زميله بالنفير فيتركنا في محلنا ويسيره واياك ان تدخل
الى القسم المخصص بالحريم لانه ضيق جداً ومنفصل عن باقي اقسام العربية
بالواح خشبية لاتبعد عن أنف الجالسة تجاهها سوى بضعة قراريط خصوصاً
وان غايقتنا من ركوب الترامواي في هذه المرة هي استطلاع احوال الناس
والتفكك بما سنسمه من احاديثهم اراك واقفة على درجة العربية
مترددة كأنك قد تضايقت من الدخان المتصاعد من السيجارات المصرية والسيجار
الافرنجي فلا بأس فاصمدى واصمدى لتحمل أشياء كثيرة ربما تكرهينها
من مجالسنا لان الترامواي أو الطرمباي كما سميها العامة هي كالقمر الاخير
الابدي الذي يجمع بين الرفيع والوضيع والعالم والجاهل والحديد والحامل
أف لقد رايتنا هؤلاء الجنود الانكليز بالدخان المنبث من سيجارهم فما
أقبح رائحة السيجار الافرنجي خفي ما تملك فقد لاحظ هؤلاء
الجنود تضايقتنا وعمدوا الى ابطال التدخين فشكراً لآدابهم التي خففت عنا

مؤونة تكليفهم لمقاطعة لذتهم هذه قد عجزف النذير فانظاري من الصاعد
 الينا هو شاب حسن اللباس طويل القامة لابساً ثبمة مستطيلة تلمع في
 نور الشمس وفي يده لواحدة عصاته اللطيفة وفي الأخرى محفظة (شائته)
 يظهر انه شديد الاهتمام بها كانه يريد جب أنظار جميع الناس اليها فن هو
 ياترى . . . أخاله دكتوراً لأنني سمعت أحد الحضور يسلم عليه بالدكتوريه
 . لكن آه من هذه الشائته فن لي باثمة رائجن تنفذ جلدنا لثريتنا ما فيها
 بل من لي بقوة تمكنتي من استنطاق آلام العلم منه سر تقديراً من . واضعها
 لتظل أسيرة تلك الشائته كل مرة يخرج بها الدكتور من خارج بيته وأعرف
 منها عملاً اذا كانت لها وظيفة أخرى عدا عن وظيفة الابهام بكنانة
 صاحبها من الطب في أعين الناس ولكن أتيري سداك للجاليين في المقدم
 ورائنا واصني لهذا التكلم الضخم الجثة والذي يظهر من لهجته انه يتصور
 نفسه على منبر الخطابة . أظن انه يتكلم عن تأثير حرب الترانسفال على
 تجارة العالم أجمع وبالأخص على تجارة مصر حيث قد ارتفعت أسعار كل
 البضائع لوقوف حركة معامل انكاثرا بن الشغل وتطوع العملة في الجندية
 ولكن ما بالله يمزج كلامه العربي السوري بعبارات افرنيسية وانكليزية
 وعربي مصري الخ فان هذا المزيج لينتص بالحقيقة من تأثير كلامه على
 نفوس سامعيه الذين كانوا ربما يبرونه جانب الاصغاء التام لو وحد اللغة
 واللهجة ها هو قد انتقل من التجارة وأخذ يتكلم عن سياسة انكاثرا
 وعظمتها وقدرتها وضاها فبو على ما يظهر من المتكاثرين ولكن هل نسي
 مقالته قبالاً من أن عظمتها هذه لم تغنها فيلا في حربها مع هذه الامة القيمة
 النشيطة ولم تلها الانتصار عليها منذ ابتداء حربها الى الآن فيالله من الغرض

الاعمي ولكن دعي خطيننا يتم حديثه وانظري لهذه القادمة اللابدة على
 آخر زي باريزي تأملي كيف انها تدور كأنها قطعة واحدة خيفة ان يمتثل
 ننام ياقتمها المرتفعة حتى اذنيها ثم انبهي لها انها تريد ايها منا بأنها جبلت من
 غير طينتنا فهي تخاطب انها اللابس لباس الجنود (الهاليندرس) بالفاظ انكليزية
 دون أن تحسن لفظها ولا تركيبها فهي غير قادرة على ما يظن ان تفهم الرد
 عن قصدها لان جهله هذه اللغة ظاهر وضح رغمًا عن تلبسه بلباس بعض
 أبناءها فيالله من المتكلمين ضد طباعهم انظري الى هذه القادمة بأثوابها
 السفرية اظنها سائحة اقرنجية يظهر من استعداداتها الكثيرة ولبسها وقبعها انها
 تقصد بلاد بعيدة كلا لا اظنك مصيبة فقد خرجت من احدى هذه البيوت
 وكلمت الكوميدياري بالبرية الفصحى . ثم اسمي هي تسأل أحد الجلوس
 عن ميعاد قيام قطار المطرية المثل هذه الرحلة البعيدة استعدت هذا
 الاستعداد العظيم ها شيخ الرب يقصد الترامواي وقد أشار للسائق
 بالوقوف ولكن ما بال الترامواي لم يقف أبل مستخدموه وهم أعراب
 لا يخفون بالبربي مثلهم ومن هذا يا ترى لذي تجاسر على ركوب
 الترامواي على سرعته . . . هو المفتش . . . قد راجع قائدة الكوميدياري
 ودقق فيها . . . هو يطالب التذاكر ويقابل أعدها انظري كم هو متأدب
 مع الناس . . . كلا انتظري وصوله الى ذلك الصعيدي المسكين . اسمي .
 هاهو يتموره بفلاظة لا بطأه عن تقديم تذكيره وذلك يتقرب اليه بكلمة
 « معلش ياخواجه » الدارجه في مصر ولكن كفاناما . اهدنا الآن وللنزل
 فهل لم تقتني بعد ان الترامواي الذي يتخذونه دليلا على تقدم مصر لم
 يكن الا دليلا على تقدم الاجني فيها